

المحاضرة السابعة

ماهية الكلمة في القرآن الكريم

لا شك أن الجهة التي منها قامت الحجة بالقرآن الكريم وظهرت، وبانت وبهرت، هي أن كان على حدّ من الفصاحة تقصر عنه قوى البشر، ومنتها إلى غاية لا يطمع إليها بالفكر⁽¹⁾.

فقد جاءت كل كلمة من القرآن الكريم في موضع منه لا يمكن أن نستبدلها بغيرها، إذ لا يؤدي مؤداها غيرها في السياق الذي وضعت فيه، وذلك من كمال نظم القرآن الكريم؛ الذي أعجز أرباب العربية؛ الذين ملكوا ناصيتها.

ولا تجب الفصاحة لكلمة مقطوعة عن الكلام الذي هي فيه، ولكنها تجب لها موصولة بغيرها، ومعلّقة معناها بمعنى ما يليها، فإذا قلنا في كلمة "اشتعل"، من قوله تعالى: ﴿وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ مريم: ٤، أنها في أعلى رتبة الفصاحة، لم توجب تلك الفصاحة لها وحدها، ولكن موصولا بها الرأس معرّفا بالألف واللام، ومقرونا إليهما الشيب منكرا منصوبا⁽²⁾.

أولا: تعريف الكلمة.

الكاف واللام والميم أصلان، أحدهما: يدل على نطق مفهم، والآخر: يدل على جراح، أما الأول فالكلام، تقول: كلمته، وأكلمه تكليما، وهو كليمي إذا كلمته أو

(1) دلائل الإعجاز، لعبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، ص: 08، مكتبة الخانجي - مطبعة المدني، د ت ط.

(2) المصدر نفسه، ص: 402-403.

كَلِمَنِي، والكلمة مفرد، يجمع على كلمات وكَلِم، قال تعالى: ﴿فَلَقَّيْنِ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ﴾⁽³⁾
كَلِمَتٍ فَنَابَ عَلَيْهِ ﴿البقرة: ٣٧﴾، وقال أيضا: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾⁽⁴⁾ النساء: ٤٦، وتطلق الكلمة عند النحويين على اللفظة الواحدة التي تدل على معنى وضعي، وتشمل الاسم والفعل والأداة، وقد يتوسع العرب فيطلقون "الكلمة" على غير اللفظة المفردة، فيقولون في القصة "كلمة"، وفي القصيدة والخطبة والعبارة مثل ذلك⁽³⁾.

ومن أهم خصائص كلمات القرآن الكريم، اشتماله على الغريب ونحوه، وسيأتي بيان ذلك.

ثانيا: الكلمات الغريبة في القرآن الكريم.

◆ معنى الغريب: الغريب ثلاثة أقسام:

الأول: ما كان غامض المعنى، لا يتناوله فهم عامة الناس إلا بعد تفكير دقيق، ونظر ثاقب، وذلك لقلة استعماله.

الثاني: ما كان غامض المعنى، كونه خاصا بقبيلة دون أخرى، فيحتاج عند معرفة معناه إلى الرجوع إلى أهلها.

الثالث: ما بعد إدراك المراد منه؛ لاستعماله في معنى خاص ونحوه، فيحتاج إلى بيان من الشارع الحكيم.

والغربة في الأقسام الثلاثة راجعة إلى غموض المعنى، وكلها ينطبق على بعض الكلمات القرآنية، وذلك هو المراد بغريب القرآن⁽⁴⁾.

(3) معجم مقاييس اللغة لابن فارس، ج: 05، ص: 131.

(4) غريب القرآن بين كتابي المفردات للراغب الأصفهاني وعمدة الحفاظ للسمين الحلبي، للدكتور محمد بن حمد ابن عبد الله المحميد، ص: 24-25، منشورات كرتسي القرآن الكريم وعلومه بجامعة الملك سعود المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى 1436 هـ.

❖ أمثلة عن الغريب:

المثال الأول: قوله تعالى: ﴿وَفِكَهَةٌ وَأَبَّاٌ﴾ عبس: ٣١، فكلمة "الأب" من الغريب وقد أشكل معناها على الصحابين الجليلين أبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما، وذلك لقلة استعمالها، وجاء تفسيرها عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، فبين أن "الأب" هو ما أنبتته الأرض مما تأكله الدواب، ولا يأكله الناس وهذا المثال ينطبق على القسم الأول.

المثال الثاني: قوله تعالى: ﴿فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الشورى: ١١، فكلمة "فاطر" من الغريب، ومعناها: "خالق"، و"مبتدئ"، و"مبدع"، وقد أخرج الإمام الطبري بسنده عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال: "كنت لا أدري ما ﴿فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر، فقال أحدهما لصاحبه: أنا فطرتها، يقول: أنا ابتدئتها"⁽⁵⁾، وهذا المثال ينطبق على القسم الثاني.

المثال الثالث: قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ الأنعام: ٨٢، فكلمة "ظلم" من الغريب، ومعناها هنا: الشرك، فلما نزلت هذه الآية اغتم الصحابة رضي الله عنهم وشق عليهم الأمر، لأنهم فهموا أن الظلم هنا

(5) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر بن جرير الطبري، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي ج: 09، ص: 175، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، 1442 هـ / 2001م.

معناه الجور، ومجاوزة الحدّ، فشكوا ذلك إلى رسول الله * فبيّن لهم أن الظلم معناه الشرك، وتلا عليهم قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لِبَنِيهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنَىٰ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ لقمان: ١٣، فأزال الغموض والغرابة، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "لما نزلت ﴿وَلَمْ يَلْسُوا إِيمَنَهُمْ بِظُلْمٍ﴾، قال أصحابه: وأيّنا لم يظلم؟ فنزلت: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾" (6).
وهذا المثال ينطبق على القسم الثالث (7).

ثالثاً: الكلمات غير العربية في القرآن الكريم.

اختلف العلماء في وقوع المعرب في القرآن الكريم، فذهب الإمام الشافعي، والطبري وأبو عبيدة، والقاضي أبو بكر، وابن فارس، وغيرهم، إلى عدم وقوعه، لقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ يوسف: ٢.
وذهب قوم آخرون إلى وقوعه فيه، وهو اختيار الإمام السيوطي، وقد أجابوا عن الاستدلال بقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾، بأن الكلمات اليسيرة بغير اللغة العربية لا تخرجه عن كونه عربياً.

وفي وجود كلمات معربة في القرآن الكريم إشارة إلى أنه حوى علوم الأولين والآخرين ونبأ كل شيء، فلا بد أن تقع فيه الإشارة إلى أنواع اللغات والألسن، لتتم إحاطته بكل شيء، فاختر له من كل لغة أعذبها وأخفها، وقد نقل السيوطي عن ابن النقيب أنه قال: "من خصائص القرآن على سائر كتب الله تعالى المنزلة أنها

(6) رواه الإمام البخاري، كتاب التفسير، ج: 05، ص: 193.

(7) انظر: غريب القرآن، للدكتور محمد بن حمد ابن عبد الله المحميد، ص: 26-31.

نزلت بلغة القوم الذين أنزلت عليهم، ولم ينزل فيها بشيء بلغة غيرهم، والقرآن احتوى على جميع لغات العرب، وأنزل فيه بلغات غيرهم من الروم والفرس والحبشة شيء كثير⁽⁸⁾.

♦ أمثلة عن المعرب:

المثال الأول: قوله تعالى: ﴿يَا كُؤَابَ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾^(١٨) الواقعة: ١٨
فكلمة "أباريق" ليست عربية، وقد ذكر أبو منصور الثعالبي أنها فارسية، وقال الجواليقي: الإبريق فارسي معرب.

المثال الثاني: قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا الثَّورَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ الجمعة: ٥، فكلمة "أسفاراً" ليست عربية، وقد ذكر الواسطي أنها الكتب بالسريانية، وقال الضحاك: هي الكتب، بالنبطية.

المثال الثالث: قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ النساء: ٥١، فكلمة "الجبت" ليست عربية، وقد أخرج ابن أبي حاتم عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، قال: الجبت؛ اسم الشيطان بالحبشية، وأخرج ابن جرير عن سعيد بن جبير، قال: الجبت؛ الساحر، بلسان الحبشة.

المثال الرابع: قوله تعالى: ﴿وَأَتْرَكَ أَبْحَرَ رَهَوًّا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ﴾ الدخان: ٢٤
فكلمة "رهوا" ليست عربية، ومعناها سهلاً دمثاً بلغة النبط، وقيل: معناها ساكنة بالسريانية⁽⁹⁾.

(8) انظر: الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، ج: 02، ص: 105-106.

(9) المرجع السابق، ج: 02، ص: 108-112.